الفصل الثانى

مـن

مظاهر الغلو فى الدين

obeikandl.com

obeikandl.com

مظاهر الغلو فى الدين

من مظاهر الغلو : للغلو مظاهر يعرف بها ذكرها الشيخ الدكتور يوسف القرضاوى ، ونحن نسوقها مختصرة مع بعض الإضافات وهى :

١ – **التعصب للرأى** وعدم الاعتراف بالرأى الآخر فى الأمور الأجتهادية والأمور المحتملة ، وكثيراً ما يجعل الأمور الاجتهادية أموراً مقطوعة ويقينية ، ليس فيها إلا قول واحد وهو قوله ، ولا رأى إلا رأيه ، فهو لا يسمع حجج الآخرين ولا يفكر فيها ولا يقارن كلامه بكلامهم ويناظر حجته بحجتهم ، ثم يأخذ ما يراه أنصع برهاناً وأرجح ميزاناً ، والعجب أن منهم من يجيز لنفسه أن يجتهد فى أغوص المسائل وأغمض القضايا وهو غير أهل للاجتهاد ولا يجيز لغيره من العلماء المتخصصين أن يجتهد كما اجتهد هو ، فهذا التعصب المقيت الذى يثبت المرء فيه نفسه وينفى كل ما عداه ، كأنما يقول لك : من حقى أن أتكلم ، ومن واجبك أن تتبع ، رأيى صواب لا يحتمل الخطأ ورأيك خطأ لا يحتمل الصواب ، وبهذا لا يمكن أن يلتقى بغيره أبداً !

ويزداد الأمر خطورة حين يراد فرض الرأى على الآخرين بالعصا الغليظة ، وهنا قد لا تكون العصا الغليظة من حديد أو خشب فهناك الاتهام بالابتداع أو بالاستهتار بالدين أو بالكفر والمروق .

إن هذا الإرهاب الفكرى أشد تخويفاً وتهديداً من الإرهاب الحسى .

٢ – إلزام جمهور الناس بما لم يلزمهم اللَّه به : ومن مظاهر الغلو الدينى التزام التشدد مع قيام موجبات التيسير والزام الآخرين به حيث لم يلزمهم اللَّه به ، فلا ينبغى لمسلم أن يرفض التيسير فى وقت الحرج وأن يرفض الرخصة التى رخصها اللَّه ويلزم جانب التشدد فى كل أحواله بحيث يحتاج إلى التيسير فيأباه وتأتيه الرخصة لتخرجه من الضيق والحرج فيرفضها رغم أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يقول : « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا » (١) .. « إن اللَّه يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته » (٢) .

---

(١) رواه البخارى [٦٩] ومسلم [٨/١٧٣٤] عن أنس رضى اللَّه تعالى عنه .

(٢) رواه أحمد فى المسند [١٠٨/٢] عن ابن عمر رضى اللَّه تعالى عنهما وقال الأرناؤوط : حديث صحيح .

ويقول اللَّه تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .. « ما خُيِّر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم بين أمرين إلا أختار أيسرهما ما لم يكن إثماً » (١) .

فلا يجوز للمسلم أن يلزم جمهور الناس ما يجلب عليهم الحرج فى دينهم والعنت فى دنياهم مع أن من أبرز صفات الرسول صلى اللَّه عليه وسلم الكريم أنه كما قال اللَّه تعالى : ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف : ١٥٧]

فقد كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم إذا صلى لنفسه طوَّل الصلاة وإذا صلى بالناس خفَّف وقال : « إذا صلى أحدكم لنفسه فليطوِّل ما شاء » (٢) وعن ابن مسعود الأنصارى قال : قال رجل يا رسول اللَّه : إنى لأتأخر عن الصلاة فى الفجر مما يطيل بنا فلان

---

(١) رواه البخارى [٦٤٠٤] ومسلم [٧٧/٢٣٢٧] عن عائشة رضى اللَّه تعالى عنها .

(٢) جزء من حديث رواه البخارى [٦٧١] ومسلم [١٨٢/٤٦٧] عن أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه .

فيها ، فغضب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، ما رأيته فى موضع كان أشد غضباً منه يومئذ ، ثم قال : « يا أيها الناس إن منكم منفرين فمن أَمَّ بالناس فليتجوز فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة » وقال لمعاذ لما أطال الصلاة بالقوم : « أفتَّان أنت يا معاذ » ؟ وكررها ثلاثاً . رواهما البخارى [1] .

وعن أنس أن النبى صلى اللَّه عليه وسلم قال : « إنى لأدخل فى الصلاة وأنا أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبى فأتجوَّز فى صلاتى مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه » [2] .

ومن التشديد على الناس محاسبتهم على النوافل والسنن كأنها فرائض [3] ، وعلى المكروهات كأنها محرمات والمفروض ألا تلزم الناس إلا بما ألزمهم اللَّه تعالى به جزماً وما زاد على ذلك فهم مخيرون فيه إن شاءوا فعلوا وإن شاءوا تركوا ، وحسبنا فى هذا

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه البخارى [٦٧٧-٦٨٧] عن أنس رضى اللَّه تعالى عنه وبنحوه مسلم [٤/٤٧٠] .

(٣) إنما يستحب ذلك على سبيل الموعظة والحث .

حديث طلحة بن عبيد اللَّه فى الصحيح فى قصة ذلك الأعرابى الذى سأل النبى صلى اللَّه عليه وسلم عما عليه من فرائض فأخبره بالصلوات الخمس وبالزكاة وبصوم رمضان ، فقال : هل على غيرها ؟ فقال : لا . إلا أن تطوع ، فلما أدبر الرجل قال : واللَّه لا أزيد على هذا ولا أنقص ، فقال النبى صلى اللَّه عليه وسلم : « أفلح إن صدق ، أو دخل الجنة إن صدق » (١) .

٣ – **التشدد فى غير موضعه** : ومما ينكر من التشدد أن يكون فى غير زمانه ومكانه ، كأن يكون مع قوم حديثى العهد بإسلام أو حديثى عهد بتوبة ، أو فى غير دار الإسلام وبلاده الأصلية ، فهؤلاء ينبغى التساهل معهم فى المسائل الفرعية والأمور الخلافية ، والتركيز معهم على الكليات قبل الجزئيات ، وتصحيح عقائدهم أولاً ، فإذا اطمأن إليهم دعاهم إلى أركان الإسلام ، ثم إلى شعب الإيمان ، ثم إلى مقامات الإحسان .

لذلك قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم لمعاذ بن جبل لما أرسله إلى اليمن : « إنك تأتى قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأنى رسول اللَّه ، فإن هم أطاعوا لذلك

(١) رواه البخارى [١٧٩٢] ومسلم [٨/١١] .

فأعلمهم أن اللَّه افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك ، فأعلمهم أن اللَّه افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد فى فقرائهم .. » [1] .

فانظر كيف أمره أن يتدرج فى دعوته فيبدأ بالأساس وهو الشهادتان ، ثم إذا استجابوا دعاهم إلى الركن الثانى وهو الصلاة ، فإن أطاعوا انتقل إلى الركن الثالث وهو الزكاة وهكذا .

وقد نجد بعض الشباب المسلم المتحمس من دول الغرب ينكرون على إخوانهم الذين يرتدون البنطال لا الجلباب الأبيض ويأكلون على المناضد لا على الأرض ، وكان الأجدر بهم أن يدعوا الناس إلى توحيد اللَّه تعالى والتذكير بالآخرة وبالقيم الدينية العليا .

٤ – **الغلظة والخشونة** : ومن مظاهر الغلو والتشدد . الغلظة فى التعامل والخشونة فى الأسلوب والفظاظة فى الدعوة خلافاً لأوامر اللَّه وأوامر رسوله .. فقد قال اللَّه سبحانه و تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ

---

(١) جزء من حديث رواه البخارى [١٣٣١] ومسلم [٢٩/١٩] عن معاذ بن جبل رضى اللَّه تعالى عنه .

أَحْسَنُ ﴾ [النمل : ١٢٥] ، ووصف رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بقوله : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] ، وقال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] فإن مجال الدعوة لا يكون إلا بالحلم والعلم والرحمة ، ولا مكان للعنف والخشونة فيها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله » (١) .

وفى الأثر : « من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه ولا ينزع من شىء إلا شانه » (٢) فلابد من الرفق فى الدخول إلى عقله والتسلل إلى قلبه لتلين من شدته وتكفكف من جموده .

وللأسف الشديد نجد بعض شباب الحركات الإسلامية يتحاورون ويتعاملون بالغلظة مع الناس ، لا يفرقون فى ذلك بين

---

(١) جزء من حديث رواه البخارى [٦٥٢٨] ومسلم [٢١٦٥/١٠] عن عائشة رضى الله تعالى عنها .

(٢) رواه مسلم [٢٥٩٤/٧٨] عن عائشة رضى الله تعالى عنها .

كبير وصغير ، ولا بين من له حرمة خاصة كالأب والأم ومن ليس كذلك ولا بين من له حق التوقير والتكريم كالعالم والفقيه والمعلم والمربى ومن ليس كذلك ، ولا يفرقون بين من هو معذور ومن ليس كذلك ، ومن هو جاهل ومن يعادى الإسلام عن عمد وعلم وبصيرة .

٥ – **سوء الظن بالناس** : ومن مظاهر الغلو والتشدد ولوازمه سوء الظن بالآخرين ، فالأصل عند المتشدد هو الاتهام ، والأصل فى الاتهام الإدانة خلافاً لما تقرره الشرائع والقوانين : « إن المتهم برىء حتى تثبت إدانته » .

فنجد المتشددين يسارعون إلى سوء الظن والاتهام لأدنى سبب فلا يلتمسون المعاذير للآخرين ، بل يفتشون عن العيوب ويجعلون من الخطأ خطيئة ، ومن الخطيئة كفراً . وإذا كان هناك قول يحتمل وجهين ؛ وجه خير وهداية ، ووجه شر وغواية ، رجحوا احتمال الشر على احتمال الخير خلافاً لما أُثِر عن علماء الأمة من أن الأصل حمل حال المسلم على الصلاح والعمل على تصحيح أقواله وتصرفاته بقدر الإمكان ، ومن خالف هؤلاء فى رأى أو سلوك تبعاً لوجهة نظر عنده انهم فى دينه بالمعصية أو الابتداع أو احتقار أُتهم السنة ، فإذا خالفتهم فى سنة حمل العصا ، أو الأكل على الأرض مثلاً اتهموك بأنك لا تحترم السنة أو لا تحب رسول اللّه صلى اللّه

عليه وسلم ، ولا يقتصر سوء الظن عند هؤلاء على العامة بل يتعدى إلى الخاصة وخاصة الخاصة ، فإذا أفتى فقيه بفتوى فيها تيسير على خلق اللَّه ورفع الحرج عنهم فهو فى نظرهم متهاون بالدين ، ولم يقف الاتهام عند الأحياء ، بل انتقل إلى الأموات الذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم ؛ كأئمة المذاهب المتبعة ، فهم على ما لهم من فضل ومكانة لدى الأمة فى كافة عصورها لم يسلموا من ألسنتهم وسوء ظنهم .

إن ولع من يُكَفِّرون المسلمين بالهدم لا بالبناء ولع قديم وغرامهم بانتقاد غيرهم وتزكية أنفسهم أمر معروف ، واللَّه سبحانه وتعالى يقول ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم : ٣٢] .

إن آفة هؤلاء هى سوء الظن المتغلغل فى أعماق نفوسهم ولو رجعوا إلى القرآن والسنة لوجدوا فيهما ما يغرس فى نفس المسلم حسن الظن بالمسلمين ، فإذا وجد عيباً ستره ليستره اللَّه فى الدنيا والآخرة [1] وإذا وجد حسنة أظهرها وأذاعها ، قال اللَّه سبحانه

---

(١) إشارة إلى ما روى البخارى [٢٥٨٠] ومسلم [٣٨/٢٦٩٩] عن أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال : « .. من ستر مسلماً ستره اللَّه فى الدنيا والآخرة واللَّه فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » .

وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات : ١٢] ، وقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » .(١) وأصل هذا كله الغرور والازدراء للغير .

وحسبنا فى التحذير من هذا الإتجاه الحديث النبوى الصحيح : « إذا قال الرجل : هلك الناس ، فهو أهلكهم » . (٢) فكثير من هؤلاء المتشددين يرتدون نظارة سوداء ، فلا يرون إلا المثالب وكثيراً ما تجده ينتقد الناس ولا يعجبه أحد ، وإذا سألته عن شخص ما ذكر مثالبه وبالغ فيها وسكت عن حسناته ، وفى أحسن الأحوال يذكر جزءاً يسيراً من حسناته ويقلل من شأنها ، وهذه نظرة غير عادلة وانحراف عن جادة الطريق ، وقد قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة : ٨] .

---

(١) جزء من حديث رواه البخارى [٤٨٤٩] ومسلم [٢٨/٢٥٦٣] عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه .

(٢) رواه مسلم [١٣٩/٢٦٢٣] عن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء : ١٣٥]

قوله : ﴿ قَوَّٰمِينَ ﴾ أى : قائمين ، وقوله : ﴿ بِٱلْقِسْطِ ﴾ أى : بالعدل .

وقوله : ﴿ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ﴾ أى : هذا العدل من أجل اللَّه لا من أجل الدنيا ، إن يكن المشهود عليه غنياً فاعدل فى حقه ولا يحملك غناه على أن تجور عليه أو تعطيه فوق حقه ، وإن يكن المشهود عليه فقيراً فلا يحملك فقره على أن تجور عليه أو أن تعطيه فوق حقه .

وقوله : ﴿ فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾ أى : اللَّه يتولاهما وهو اعلم بما فيه صلاحهما ، وقوله : ﴿ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ﴾ أى : فلا يحملنكم الهوى والعصبية وبغض الناس إليكم على ترك العدل فى أموركم وشؤونكم .

وقوله : ﴿ تَلْوُۥٓاْ ﴾ أى تحرفوا الشهادة .

وقوله : ﴿ تُعْرِضُواْ ﴾ أى : تكتموا الشهادة وتتركوها .

وقوله : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ أى : سيحاسبكم ويجازيكم بذلك .

فيجب على المسلم أن يكون عادلاً منصفاً يزن الناس بميزان الشرع والوسطية ، فمن رجحت حسناته على سيئاته فهو صالح ، ولا ينبغى له أن يلبس نظارة سوداء فلا يرى إلا السواد ، ولا ينبغى له أن يحقر أخاه المسلم . فقد قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم » (١) .

وروى الإمام أحمد عن ضمضم بن جو اليمانى : قال : قال لى أبو هريرة : يا يمانى لا تقولن لرجل: واللَّه لا يغفر اللَّه لك ، أو لا يدخلك اللَّه الجنة أبداً . قلت : يا أبا هريرة إن هذه لكلمة يقولها أحدنا لأخيه وصاحبه إذا غضب ، قال : فلا تقلها ، فإنى سمعت النبى صلى اللَّه عليه وسلم يقول : « كان فى بنى إسرائيل رجلان كان أحدهما مجتهداً فى العبادة ، وكان الآخر مسرفاً على نفسه ، فكانا متآخيين ، فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب ، فيقول : يا هذا ، أقصر ، فيقول : خلنى وربى ، أَبُعِثْتَ على رقيباً ؟ قال إلى أن رآه يوماً على ذنب استعظمه فقال له : ويحك أقصر ،

---

(١) رواه مسلم [٣٢/٢٥٦٤] عن أبو هريرة رضى اللَّه تعالى عنه .

قال : خلنى وربى ، أَبَعِثْتَ على رقيباً ؟ فقال : واللَّه لا يغفر اللَّه لك ، أو لا يدخلك اللَّه الجنة أبداً . قال : فبعث اللَّه إليهما ملكاً ، فقبض أرواحهما واجتمعا عنده ، فقال للمذنب : اذهب فادخل الجنة برحمتى : وقال للآخر : أكنت بى عالماً ، أكنت على ما فى يدى قادراً اذهبوا به إلى النار . قال : فوالذى نفس أبى القاسم بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته (١) .

فهذا قد رأى صاحبه على منكر فاعتقد أن اللَّه لا يغفر له أبداً ولا يدخله الجنة أبداً ، وهذا اعتقاد باطل وفاسد فإن رحمة اللَّه وسعت كل شيء ، ولا يملك أحد الحجر على رحمة اللَّه .

٦ - النظرة المثالية للمجتمع الذى ينبغى أن يكون : ومن مظاهر الغلو أن ينظر المرء إلى المجتمع وفى خياله نظرة مثالية ، فيعتقد أن المجتمع المسلم ينبغى أن يكون مجتمعاً ملائكياً يسوده الحب والمودة والطاعة الدائمة دونما تقصير ، فإن كان المجتمع الحالى هكذا فهو مجتمع مسلم وإن وجدت فيه المعاصى فهو مجتمع جاهلى غير إسلامى ، وهذا غلو فى التصور وبُعد عن

---

(١) رواه أحمد فى المسند [٣/٣٢٣] وقال الأرناؤوط : إسناده حسن .

الواقع فإن الإنسان سُمى إنساناً لكثرة نسيانه . وإن كل ابن آدم خطاء كما قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم [1] ولو لم يذنب البشر لخلق اللَّه بشراً يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم كما ورد فى الحديث [2] .

وقد كانت المعاصى والذنوب فى كل الأمم وفى أتباع الرسل ، فهى فيمن دونهم من باب أولى ، ونحن نورد بعضاً من الذنوب والمعاصى التى كانت فى عهد الصحابة رضى اللَّه تعالى عنهم لنبين للناس أجمعين أن خير القرون [3] وهو قرن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم لم يكن خالياً من المعاصى سواء كانت من الكبائر أم من الصغائر ؛ حتى يرجع أصحاب النظرات المثالية إلى واقع

---

(١) جزء من حديث رواه الترمذى [٢٤٩٩] عن أنس رضى اللَّه تعالى عنه . وقال الألبانى : حسن .

(٢) جزء من حديث رواه الترمذى [٢٤٩٩] عن أنس رضى اللَّه تعالى عنه وقال الألبانى حسن

(٣) إشارة إلى ما روى البخارى [٢٥٠٨] ومسلم [٢١٤/٢٥٣٥] عن عمران بن حصين رضى اللَّه تعالى عنه : قال اللنبى صلى اللَّه عليه وسلم : « خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » .

البشر حيث الضعف والتقصير ، وهذه سمة البشر . قال تعالى : ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء : ٢٨] .

ونحن بسرد الأحاديث التى تعبر عن بشرية الصحابة وأن فى عهدهم من قتل وسرق وزنى ومن شرب الخمر وغيرها من المعاصى لا نريد أن نجرح فى الصحابة رضوان اللّه تعالى عليهم ، فهم خير هذه الأمة ، إنما نريد أن نوضح أن المعصية لا تزول من البشرية أبداً ، وأن خير القرون قد حدثت فيه المعاصى ، فحدوثها فى القرون التالية أكبر ولا يخرجها ذلك عن الإسلام ولا يجوز لأحد أن يصفها بأنها أمة قد ارتدت أو أنها عصر جاهلية كجاهلية ما قبل الإسلام ، وها هى بعض المعاصى والذنوب التى وقعت فى عهد الصحابة .

١ - عَنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ أَنَّ نَاساً مِنْ عُرَيْنَةَ قَدِمُوا عَلَىَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ فَاجْتَوَوْهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَىَ إِبِلِ الصَّدَقَةِ فَتَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا » فَفَعَلُوا فَصَحّوا ثُمّ مَالُوا عَلَى الرّعَاةِ فَقَتَلُوهُمْ وَارْتَدّوا عَنِ الْإِسْلَامِ وَسَاقُوا ذَوْدَ رَسُولُ الله صلى الله عليه

وسلم فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم فَبَعَثَ فِي أَثَرِهِمْ فَأُتِيَ بِهِمْ فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ وَتَرَكَهُمْ فِي الْحَرَّةِ حَتَّىَ مَاتُوا .

وفى رواية : أَنَّ نَفَراً مِنْ عُكْلٍ ثَمَانِيَةً قَدِمُوا عَلَىَ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم فَبَايَعُوهُ عَلَى الإِسْلاَمِ فَاسْتَوْخَمُوا الأَرْضَ وَسَقُمَتْ أَجْسَامُهُمْ فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَىَ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : « أَلاَ تَخْرُجُونَ مَعَ رَاعِينَا فِي إِبِلِهِ فَتُصِيبُونَ مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا فَقَالُوا : بَلَىَ فَخَرَجُوا فَشَرِبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا فَصَحّوا فَقَتَلُوا الرّاعِيَ وَطَرَدُوا الإِبِلَ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم فَبَعَثَ فِي آثَارِهِمْ فَأُدْرِكُوا فَجِيءَ بِهِمْ فَأَمَرَ بِهِمْ فَقُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ وَسُمِلَتْ أَعْيُنُهُمْ ثُمّ نُبِذُوا فِي الشّمْسِ حَتّىَ مَاتُوا » .

وقال أنس : إِنّمَا سَمَلَ النّبِيّ صلى الله عليه وسلم أَعْيُنَ أُولَئِكَ لأَنّهُمْ سَمَلُوا أَعْيُنَ الرّعَاءِ .

فيه حديث العرنيين أنهم قدموا المدينة وأسلموا واستوخموها وسقمت أجسامهم فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالخروج إلى إبل الصدقة فخرجوا فصحوا فقتلوا الراعي وارتدوا عن الإسلام وساقوا الذود فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم فقطع

أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وتركهم في الحرة يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا [1] .

(١) رواه البخارى [٦٤١٧] ومسلم [١٠،٩/١٦٧١] .

قال الإمام النووي [٦/١٧٠] : هذا الحديث أصل في عقوبة المحاربين وهو موافق لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [المائدة : ٣٣] واختلف العلماء في المراد بهذه الآية الكريمة فقال مالك : هى على التخيير فيخير الإمام بين هذه الأمور إلا أن يكون المحارب قد قتل فيتحتم قتله . وقال أبو حنيفة وأبو مصعب المالكي الإمام بالخيار وإن قتلوا . وقال الشافعي وآخرون : هي على التقسيم فإن قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا وإن قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا فإن أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف فإن أخافوا السبيل ولم يأخذوا شيئاً ولم يقتلوا طلبوا حتى يعزروا وهو المراد بالنفي عندنا قال أصحابنا: لأن ضرر هذه الأفعال مختلف فكانت عقوباتها مختلفة ولم تكن للتخيير وتثبت أحكام المحاربة في الصحراء وهل تثبت في الأمصار فيه خلاف قال أبو حنيفة : لا تثبت وقال مالك والشافعي : تثبت =

٢ - وهناك من ارتد فى أول الإسلام نتيجه لتعذيب المشركين له ، قال ابن إسحاق فى سيرته : « فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش برمضاء مكة حتى إذا اشتد الحر ، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم فمنهم من يفتن من شدة البلاء الـذى يصيبـه ، ومنهم من يصبر لهم ويعصمه اللَّه منهم [(١)] .

٣ - ولما أخبر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم أصحابه بالإسراء والمعراج ارتد كثير ممن كان أسلم ، قال ابن إسحاق : فأخبرهم - أى : خبر الإسراء والمعراج - فقال أكثر الناس : هذا واللَّه الأمر البين واللَّه إن العير لتطرد شهراً من مكة إلى الشام مدبرة ، وشهراً

= قال القاضي عياض رضي الله عنه : واختلف العلماء في معنى حديث العرنيين هذا فقال بعض السلف : كان هذا قبل نزول الحدود وآيتي المحاربة والنهي عن المثلثة فهو منسوخ وقيل ليس منسوخاً وفيهم نزلت آية المحاربة وإنما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بهم ما فعله قصاصاً لأنهم فعلوا بالرعاة مثل ذلك .

(١) الروض الأنف [٢/٨٤] .

مقبلة ، أفيذهب ذلك محمد فى ليلة واحدة ويرجع إلى مكة ؟ قال : فارتد كثير ممن كان أسلم [1] .

٤ - وأسلم عياش بن أبى ربيعة وهاجر إلى المدينة ثم جاءه قومه وقالوا له : إن أمه نذرت أن لا يمس رأسها مشط ولا تستظل من شمس حتى تراك ، فَرَقَّ لها وعاد ، ففتنوه عن دينه فارتد إلى دين الجاهلية .

٥ - وعن علقمة بن وائل عن أبيه قال : إنى لقاعد مع النبى صلى اللّه عليه وسلم إذ جاء رجل يقود آخر بنسعة ، فقال : يا رسول اللّه هذا قتل أخى ، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « أقتلته ؟ فقال : إنه لو لم يعترف أقمت عليه البينة ، قال : نعم قتلته ، قال : كيف قتلته ؟ قال : كنت أنا وهو نختبط من شجرة فسبنى فأغضبنى ، فضربته بالفأس على قرنه فقتلته .. »[2] .

٦ - وعن أبى هريرة رضى اللّه عنه تعالى قال : « اقتتلت امرأتان من هذيل فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما فى

---

(١) الروض الأنف [٢/١٩٠] .

(٢) جزء من حديث رواه مسلم [١٦٨٠/٣٢] . والنسعة : حبل من جلود مضفورة .

بطنها ، فاختصموا إلى النبى صلى اللَّه عليه وسلم ، فقضى أن دية جنينها غرة عبد أو وليدة ، وقضى أن دية المرأة على عاقلتها » [1] .

٧ - وعن أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه قال : أتى رجل من المسلمين رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وهو فى المسجد ، فناداه فقال : يا رسول اللَّه إنى زنيت ، فأعرض عنه ، فتنحى تلقاء وجهه فقال : يا رسول اللَّه إنى زنيت ، فأعرض عنه ، حتى ثنى ذلك عليه أربع مرات ، فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، فقال : أبك جنون ؟ قال : لا ، فقال : فهل أحصنت ؟ قال : نعم ، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : اذهبوا به فارجموه » [2] .

٨ - وعن عائشة رضى اللَّه تعالى عنها قالت : « إن امرأة كانت تستعير المتاع وتجحده فأمر النبى صلى اللَّه عليه وسلم بقطع يدها » [3] .

---

(١) رواه البخارى [٦٥١٢] ومسلم [٣٦/١٦٨١] .
(٢) رواه البخارى [٦٧٤٧] ومسلم [١٦/١٦٩١] .
(٣) رواه البخارى [٣٢٨٨] ومسلم [٨/١٦٨٨] .

٩ - وعن أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه قال : « أتى النبى صلى اللَّه عليه وسلم برجل قد شرب ، قال : اضربوه . قال أبو هريرة : فمنا الضارب بيده والضارب بنعله والضارب بثوبه ، فلما انصرف قال بعض القوم : أخزاك اللَّه . قال : لا تقولوا هكذا ، لا تعينوا عليه الشيطان » (١) .

١٠ - وجاء هلال بن أمية من أرضه فوجد عند أهله رجلاً فرأى بعينه وسمع بأذنه فلم يُهِجْهُ حتى أصبح ، ثم غدا على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فقال : يا رسول اللَّه إنى جئت أهلى عشاء فوجدت عندها رجلاً فرأيت بعينى وسمعت بأذنى ، فكره رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ما جاء به واشتد عليه ، فنزلت ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ... » (٢) .

١١ - وعن عتبان بن مالك قال : غدا على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فقال رجل أين مالك بن الدخشن ، فقال رجل منا :

---

(١) رواه البخارى [٦٣٩٥] .

(٢) جزء من حديث أبو داود [٢٢٥٦] وضعفه الألبانى .

ذلك منافق لا يحب اللَّه ورسوله ، فقال النبى صلى اللَّه عليه وسلم : ألا تقولونه يقول : لا إله إلا اللَّه يبتغى بذلك وجه اللَّه ؟ » [(١)] .

١٢ - وعن أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم مر على صبرة طعام ، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً ، فقال : « ما هذا يا صاحب الطعام ؟ قال : أصابته السماء يا رسول اللَّه قال : أفلا جعلته فوق الطعام كى يراه الناس ؟ من غَشَّ فليس مني » [(٢)] .

فإذا كانت قد وقعت بعض المعاصى والذنوب فى عهد النبى صلى اللَّه عليه وسلم وهو خير القرون بلا جدال ، فإذا ما وقع مثل ذلك أو أكثر فى عصورنا هذه ، فلا يجوز لأحد أن يصف هذا المجتمع بأنه مجتمع جاهلى ومجتمع كافر ، فإن المعاصى لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات على مر العصور والدهور .

وقديما نظر بعض التابعين إلى مجتمعهم نظرة مثالية خالية من الواقع ، فوجدوا أن كتاب اللَّه تعالى لا يُعمَل به كله ، وذلك فى عهد عمر بن الخطاب رضوان اللَّه تعالى عليه ، فأنكروا ذلك

---

(١) رواه البخارى [٦٥٣٩] ومسلم [٣٣/٥٤] .

(٢) رواه مسلم [١٠٢] .

وذهبوا إلى أمير المؤمنين ليناظروه فى هذا التقصير فى المجتمع المسلم ، ولننظر ماذا دار بينهم ؛ روى ابن جرير عن الحسن : إن ناساً سألوا عبد اللَّه بن عمرو بن العاص بمصر فقالوا : نرى أشياء من كتاب اللَّه عز وجل أمر أن يُعمل بها لا يُعمل بها ، فأردنا أن نلقى أمير المؤمنين فى ذلك . فقدم وقدموا معه ، فلقى عمر رضى اللَّه تعالى عنه ، فقال : متى قدمت ؟ فقال : منذ كذا وكذا ، قال : أبأذن قدمت ؟ قال : لا ، فلا أدرى كيف رد عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين إن ناساً لقونى بمصر فقالوا : إنا نرى أشياء فى كتاب اللَّه أمر اللَّه أن يعمل بها فلا يعمل بها فأحبوا أن يلقوك فى ذلك ، قال : فاجمعهم لى ، قال : فجمعهم له ، فأخذ أدناهم رجلاً فقال : أنشدك اللَّه وبحق الإسلام عليك أقرأت القرآن كله ؟ قال : نعم ، قال : فهل حصيته فى نفسك ؟ فقال : اللَّهم لا ، قال : ولو قال نعم لخصمته ، قال ك فهل أحصيته فى بصرك ؟ فهل أحصيته فى لفظك ؟ فهل أحصيته أثرك ؟ ثم تتبعهم حتى أتى على آخرهم فقال : ثكلت عمر أمه ، أتكلفونه أن يقيم الناس على كتاب اللَّه ! قد علم ربنا أن ستكون لنا سيئات قال : وتلا : ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء : ٣١]

ثم قال : هل علم أهل المدينة ، أو قال هل علم أحد بما قد تم ؟ قالوا : لا ، قال : لو علموا لوعظت بكم [1] .

فهؤلاء القوم أرادوا أن تسير الأمة كلها على كتاب اللّه وسنة رسوله صلى اللّه عليه وسلم ولا تترك منها شيئاً صغيراً أو كبيراً ، فحاجهم عمر رضى اللّه تعالى عنه وقال لهم : إن كنتم أنتم لم ولن تستطيعوا أن تحصوا كتاب اللّه فى أفعالكم ولا أقوالكم ، فكيف تلزمون جميع الأمة بذلك ؟ قد علم اللّه أن سيكون هناك تقصير وبعض الذنوب ، وهذا أمر لا محالة كائن ، فلا ينبغى للمسلم أن يتخيل المجتمع المسلم خالياً تماماً من جميع الذنوب والآثام ، فإن ذلك لم ولن يكون ، بل عليه أن يكون واقعياً ويعلم أن كل بنى آدم خطاءون وأن خير الخطائين التوابون [2] .

٧ - ومن مظاهر الغلو السقوط فى هاوية التكفير ، ويبلغ هذا الغلو غايته حين يسقط عصمة الآخرين ويستبيح دماءهم وأموالهم ولا يرى لهم حرمة ولا ذمة ، وذلك عندما يخوض فى لجة التكفير واتهام جمهور الناس بالخروج عن الإسلام ، أو عدم الدخول فيه

---

(١) قال ابن كثير : إسناده صحيح ، متنه حسن .

(٢) سبق تخريجه .

أصلاً كما هى دعوى بعضهم وهذا يمثل قمة الغلو الذى يجعل صاحبه فى وَاد وسائر الأمة فى واد آخر .

وهذا ما وقع فيه الخوارج فى فجر الإسلام والذين كانوا أشد الناس تمسكاً بالشعائر التعبدية صياماً وقياماً وتلاوة للقرآن الكريم ، ولكنهم أُتوا من فساد الفكر لا من فساد الضمير ، زين لهم الشيطان سوء أعمالهم فرأوه حسناً .. وضَلَّ سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، ومن ثم وصفهم النبى صلى اللَّه عليه وسلم بقوله : « يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم وقيامه إلى قيامهم وقراءته إلى قراءتهم » .. ومع هذا قال عنهم : « يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية » ووصف صلتهم بالقرآن فقال : « يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم » [1] .

وذكر علاماتهم المميزة بأنهم « يقاتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان » [2] وما وقع لطائفة الخوارج قديماً وقع لأخلافهم حديثاً وهم جماعة التكفير والهجرة ، فهم يكفرون كل من

---

(١) سبق تخريج الأحاديث الواردة فى صفاتهم ، وأوصافهم فى أول الكتاب .

(٢) رواه ابن جرير الطبرى عن أبى سعيد الخدرى رضى اللَّه تعالى عنه كما فى الفتح [٣٠٢/١٢] .

ارتكب معصية وأصر عليها ولم يتب منها ، وهم يكفرون الحكام والمحكومين والعلماء والعوام وكل من عرضوا عليه فكرهم فلم يقبله ، ولم يدخل فيما دخلوا فيه ، ويكفرون كل من قبل فكرهم ولم يدخل فى جماعتهم ويبايع إمامهم ومن بايع إمامهم ، ودخل فى جماعتهم ثم تراءى له لسبب أو لآخر أن يتركها فهو مرتد حلال الدم ، وهكذا أسرف هؤلاء فى التكفير .. فكفروا الناس أحياءاً وأمواتاً ، وقد حذر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم من الاتهام بالكفر ، ففى الحديث الصحيح : « من قال لأخيه : يا كافر فقد باء بها أحدهما » [1] أى فما لم يكن الآخر كافراً بيقين فقد ترد التهمة على من قالها ويبوء بها فهذا خطر جسيم !!

○○○

(١) سبق تخريجه .